الفكر اللغوي عند المتكلمين

م. د. وليد جبار اسماعيل نعمان العبيدي
قسم أصول الدين - كلية الإمام الأعظم / نينوى

المؤتمر العلمي السنوي الأول لكلية التربية الأساسية (٢٣-٢٤/أيار/٢٠٠٧)

ملخص البحث :

ان اهمية اللغة وظواهرها في ترسيخ العقيدة والافكار الاسلامية كبيرة جداً حيث وجدنا الكثير من المتكلمين يوظفون اللغة لتأكيد المعاني والمفاهيم الكلامية والعقائدية لدى المسلمين بصورة عامة وهذا ما نلاحظه جليا في مؤلفاتهم ، وعلى هذا شرعت في بحثي الى ابراز المرتكزات التي بني عليها توظيف المسائل اللغوية في المناظرات الكلامية .

وكانت خطة البحث مقسمة على النحو التالي:

المبحث الاول: كان في توضيح الافكار والمفاهيم الكلامية ويتمثل ذلك في مسائل عدة منها فكرة الصفات وعلاقتها بالذات الالهية فقد وظف الكلاميون مفهوم الاشتقاق في الرد على المعتزلة في نفي الصفات وان معنى الاشتقاق يفرق بين المشتق والمشتق منه ، وغيرها من المسائل اللغوية التي وظف من خلالها المتكلمون معاني وافكار العقيدة ، كمسألة خلق الافعال وخلاف المتكلمين في مفهوم الجسم عند الاطلاق.

المبحث الثاني: تكلمت فيه عن نصرة عقيدة اهل السنة والجماعة من خلال توظيفهم المعاني اللغوية في مسائل عدة منها مسألة الرؤية حيث كان دلالة (لن) احد اهم ادلة اهل السنة والجماعة في ردهم على المعتزلة في نفي الرؤية ، وكذلك نصر المتكلمون من الاشاعرة معنى الهداية الذي هو خلق الاهتداء بالاستناد الى الاستعمال اللغوي ردا على المعتزلة.

ونفس الحال بالنسبة لمعنى الايمان الذي هو التصديق القلبي ردا على الخوارج حيث اعتمد الاشاعرة على قاعدة نحوية ان العطف يقتضي المغايرة في تفسير قوله تعالى (ان الذين امنوا وعملوا الصالحات) فيكون الايمان غير العمل .

المبحث الثالث: في رفع الشبه والاشكالات حيث وظف الكلاميون المعاني اللغوية في تنزيه الله عن كل ما لا يلق به خصوصا في مبحث الصفات الخبرية ، اذ وجدنا الكثير من المسائل اللغوية يسوقها المتكلمون لرفع اشكالات او شبه وقع بها المجسمة والمشبهة ،

كمعنى(اليد) و(العين) و(الاستواء) و(النزول) وغيرها من الالفاظ التي نسبت الى الباري تعالى عن طريق القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة .

المبحث الرابع: في بيان اسباب الخلاف عند المتكلمين حيث وجدنا الكثير من الاراء الكلامية مبنية على اسس لغوية فمثلا في (صفة التكوين) التي قال بها بعض المتكلمين (الماتريدية) ومنها خلافهم في جواز اطلاق الشيئية على الذات الالهية ، اذ قبول بعضهم بالجواز مستندا الى قوله تعالى (كل شيئ هالك الا وجهه) سورة القصص ٨٨ بناءا على ان الاصل في الاستثناء الاتصال فهو تعالى شيئ لكن لا كالاشياء ، ومنع الاخرون لعدم ورود النقل به وان الاسماء توقيفية وغيرها من المسائل .

ومن خلال ما تقدم برز لدينا دور العربية في فكر المتكلمين ويعد هذا دفعا لكثير من التساؤلات التي تقول هل لعلم العقيدة دعما للغة دراسة وتطبيقا ، وقد تبين جليا موقفهم لأبراز دور اللغة بكل جوانبها دعما لعقيدة القرآن الكريم الذي نزل بلسان عربي مبين .

Linguistic Consideration of Theologians

Lecturer
Dr. Walid Jabar Ismaeil
College of Imam Al-Adham

Abstract:

Language and its phenomena used in establishing the Islamic belief and ideas are very important. We found that there are many of theologians utilize language in order to confirm the ideal and theological significances and concepts to Moslems generally; this is what we obviously notice from their books they composed. Hence, I have manifested, in my research, the bases on which using the linguistic issues in the speech debates are based.

Research is divided into the following chapters:

Chapter One explains speech ideas and concepts through many issues, such as idea of attributes and their relation to the God's self. The

theologians used derivation concept in refuting Al-Mo'tazila who denied the attributes and that the meaning of derivation differentiates between the derived and derivative and other linguistic issues through which theologians used belief significances and ideas, such as verbs creation and theologians' disagreement with regard to body concept.

Chapter Two talks about supporting the Sunnites' belief by using linguistic significances in many issues such as vision one. The significance of article (لن) is one of the Sunnites' evidences when they had refuted Al-Mo'tazila who denied the vision.

Chapter Three tackles of raising doubts and ambiguities. Theologians utilized linguistic significances in considering Allah too exalted for all attributes that are not good. We found many linguistic issues used by theologians to raise the doubts and ambiguities, such as significance of (the hand), (the eye), and other words attributed to Allah in the Holy Koran and Sunna of the prophet.

Chapter Four shows reasons of theologians' disagreement. We found that there are many speech opinions based on linguistic bases, for example, attribute of creation, stated by some theologians (Al-Matriddya). Some of them accepted that objectiveness can be attributed to the God's self, depending on Allah's say: (every thing is destroyed but his face – Allah's face) [The Stories – chapter of the Holy Koran/ 88], because Allah is an object but not like the objects.

Through already mentioned, we found that the Arabic language has a role in the theologians' idea. This may raise many questions, for example, does the belief science support the language, theoretically and practically? Their stance, related to showing the role of language in supporting the belief of the Holy Koran, was very obvious.

المقدمة :

الحمد رب العالمين الصلاة و السلام على النبي الأمين وعلى اله وصحابتة الطيبين الطاهرين ،وبعد .

يواجه الطالب وهو يحاول التعرف على مسائل على الكلام الإسلامي وقضاياه من مصادره ومضانة صعوبات كثيرة تتأتى في الغالب من الصياغة اللغوية المتينة لكل مبحث، أو مسالة كلامية ، اضافة لشمول هذا العلم معالجات فكرية وعقائدية وفلسفية تحتاج إلى الإطلاع والغزارة الثقافية في ميادين شتى من المعرفة ٠

ولهذا فعل الطالب دراست فنون شتى لكي يصل إلى حد المعرفة الكلامية ، من هذه العلوم التي عليه التثبت بها كخطوه أولى في فهم العقيدة ، هي اللغة العربية وعلومها.

حيث وجدنا كتب علم الكلام غنية بالمعاني اللغوية من الاصطلاحات النحوية أو الصرفية أو البلاغية ، في كل مبحث او مسألة عقائدية ، مما دفعني لجمع بعض الامثلة المنثورة في كتب ومصنفات علم الكلام والتي يظهر ويتجلى من خلالها دور المتكلمين في توظيف اللغة العربية في علم العقيدة الإسلامية ،هذا التوظيف الذي شمل وجوها كثيرة ، منها ترسيخ المفاهيم الكلامية وربطها باللغة لتوضيحها بشكل أدق وتقريبها لاذهان القراء وطلاب العلم ، وكذلك لنصرة مذهب أهل السنة والجماعة ، أو مذهب المتكلم سواء كان سنيا ، اوينتمي لأي مدرسة فكرية أخرى ، فقد جعل من العربية أساسا يقوي به ما ذهب إلية ، أضافه لرفع كل الشبة والمشكلات الفكرية التي واجهت الفكر الإسلامي على مدارالزمن من معاني التشبيه والتجسيم التي وقعت بها بعض الفرق إضافة إلى إن اللغة كان لها الأثر الكبير في الكثير من الخلافات الكلامية بين اهل السنة والجماعة وغيرهم من الفرق الاسلامية امثال المعتزلة والشيعة والخوارج .

وفي ضوء ما تقدم رأيت أن اجعل هذه الدراسة على النحو التالي :

المبحث الأول: توضيح الأفكار والمفاهيم الكلامية ٠

المبحث الثاني: في نصره مذهب أهل السنة والجماعة٠

المبحث الثالث: تناول توظيف اللغة في رفع الشبة والإشكالات ٠

المبحث الرابع: في بيان أسباب الخلاف عند المتكلمين ٠

ثم ختمت هذا البحث بأهم ما توصلت إليه من نتائج وافكار٠

واخيراً لابد من الاشارة الى اهم الكتب التي اغنت البحث علمياً وفكرياً ، كتاب شرح النسفية للعلامة سعد الدين التفتازاني ، وكتاب جوهرة التوحيد للشيخ ابراهيم الباجوري ، حيث كانا لي عوناً في توثيق كل فكرة ومسألة علمية .

سائلاً المولى العلي القدير أن يتقبل منا صالح الاعمال

المبحث الأول : توضيح الأفكار والمفاهيم الكلامية

استخدم أهل الكلام اللغة وعلومها لتوضيح الكثير من المباحث والمسائل العقائدية في الفكر الإسلامي ، ولكي نلقي الضوء على هذا التوظيف اللغوي لا بد من سرد الامثله التي من خلالها يتأكد لدينا هذا المعنى بكل وضوح ودقه .

نبدأ مثلاً بتعريف علم الكلام ، فقد ذكر العلماء اسباباً كثيرة في تسميته بهذا الاسم ، منها قولهم : لقوة ادلة علم الكلام صار هو الكلام دون ما عداه من العلوم ، كما يقال للاقوى من الكلامين هذا هو الكلام .

او لانه لابتنائه على الادلة القاطعة المؤيد اكثرها بالادلة السمعية اشد العلوم تأثيراً في القلب وتغلغلاً فيه ، فسمي بالكلام المشتق من الكلم ، وهو الجرح⁽¹⁾ .

ونفس الحال بالنسبة لسبب تسمية هذا العلم بعلم العقيدة ، وعلم التوحيد ، وعلم اصول الدين ، وعلم الفقه الاكبر ، فقد استخدم العلماء المعاني اللغوية في شرح سبب كل تسمية ، وهذا هو التأصيل اللغوي للمصطلحات العلمية .

وفي شرح معنى الوحدانية كمفهوم عقائدي اصيل في الفكر الاسلامي ، يوضح العلامة الباجوري نسبة هذا اللفظ (الوحدانية) لغوياً قبل شرحه من حيث الاصطلاح العقائدي فيقول: وهي (اي الوحدانية) بفتح الواو نسبة الى الواحد ، فياؤها للنسب والالف والنون للمبالغة ، كما في رقباني نسبة للرقبة ، وشعراني نسبة للشعر⁽²⁾ .

فهذا استخدام لمفهوم التأصيل اللغوي للكلمات قبل شرحها من حيث الاصطلاح .

ومفهوم الاشتقاق الذي هو من المصطلحات الصرفية التي تعني (نزع لفظ من آخر بشرط مناسبتها معنا وتركيبا ومغايرتهما في الصيغة وينقسم الى اشتقاق اصغر وكبير واكبر)⁽³⁾ استعمل في ادق مبحث كلامي ألا وهو علاقة الصفات بالذات ألالهيه ؛ حيث وضّح الاشاعرة معنى الصفات الثبوتية ، بانها صفات زائدة على الذات ، بخلاف قول المعتزلة بوجودها لكن بعدم زيادتها على الذات الالهية ؛ وبين الاشاعرة معنى ثبوت هذه الصفات وزيادتها ، أنَّ معنى سميع وبصير ومتكلم وقادر ومحي ومريد وعالم ، ذات ثُبت لها السمع والبصر والكلام ....ألخ . لان من لم يقم به وصف لا يشتق له منه اسم ، فلا يقال قائم الا لمن اتصف بالقيام ؛ ولا قاعد الا من أتصف بالقعود وهكذا⁽⁴⁾ .

---

(1) شرح النسفية . التفتازاني ، ص١٥ .

(2) تحفة المريد . الباجوري ، ج١ص٥٤ .

(3) التعريفات . الجرجاني ، ص٢٢ .

(4) حاشية الباجوري على السنوسية . ص٣٨ .

وأكد العلامة التفتازاني وغيره من اعلام المدرسة الاشعرية هذا المعنى من زيادة الصفات على الذات ؛ بالقاعدة الصرفية التي تقول : يمتنع اثبات المشتق للشيء من غير قيام مأخذ الاشتقاق منه .

أي أن اهل اللغة لا يفهمون من سميع وبصير . ألا ذاتاَََ ثبت لها السمع والبصر ، الاطلاق المشتق وصفا لشيء يقتضي ثبوت مأخذ الاشتقاق(٥) .

وفي نفس مبحث الصفات يعرفون علماء الكلام أن صفة القدر بأنها صفة تؤثر في الممكن وجوده وعدما . وصفة الارادة ، بأنها صفة تخصص الممكن ببعض مايكون .

فيشرح العلامة الباجوري وهو يمثل الفكر الاشعري أن اسناد التأثير للقدرة والتخصيص في الارادة ، هذا ليس على الحقيقة بل على المجاز العقلي ، اذ المؤثر حقيقة الذات القدسية ، والتخصيص حقيقة للذات القدسية ، اذ لا فعل ألا له تعالى(١) .

واذا انتقلنا من مبحث الصفات الى مبحث افعال العباد او مفهوم الجبر والاختيار ، او بتعبير آخر الصله بين القدرة الالهيه العامة المطلقة ، والقدرة الانسانيه . حيث وضح علماء الكلام معنى الفعل في هذا المبحث ؛ بانه الحاصل بالمصدر حيثوا قالوا ، وهم يشرحون كلام الاشاعرة من الانسان في افعاله الاختياريه ليس له الا الكسب ، واما الفعل فهو مخلوق لله تعالى ، بخلاف كلام المعتزلة القائلين بأن الانسان خالق لافعالة بقدرة اودعها الله فيه (لم نرد بالفعل المعنى المصدري الذي هو الايجاد والايقاع ، بل الحاصل بالمصدر الذي هو متعلق الايجاد والايقاع أي ما يشاهد من الحركات والسكنات والافعال)(٢) .

فهذا التوضيح في شرح فكرة خلق الافعال يرى من خلالها توظيف علم الصرف في توثيق فكرة خلق الافعال لله سبحانه وتعالى ، وهذا شيء بسيط من استعمال المتكلمين للمفاهيم اللغوية في شرح المواضيع العقائدية ، ولكي نعطي الصورة بشكل اوسع واوضح في استخدام علماء العقيدة للمعاني اللغوية نأتي بامثلة اخرى حتى يتوضح هذا المبحث بشكل جيد من ان العلماء يوضحون المعاني العقائدية والفكرية بالمسائل اللغوية .

ففي افعاله تعالى والتي يعبر عنها بصفات الافعال من الكون والخلق والرزق والاحياء والاماتة والاحسان والانعام ، وغير ذلك من افعاله جل جلاله ، يؤكدون ان افعال الله تعالى لا تتصف بالاغراض التي قد تكون سبباً باعثاً وحاملاً على الفعل ، لأن هذا الامر تتصف به المخلوقات التي تحتاج الى ذلك ، وقد يقال ان قوله تعالى : **((وما خلقت الجن والانس الا**

---

(٥) شرح النسفية . التفتازاني ، ص٨٩ .

(١) تحفة المريد . الباجوري ، ص٥٨ .

(٢) شرح المواقف : الجرجاني ، ج٨ ص١٤٦ .

ليعبدون))(٣) بأن اللام هنا للتعليل مما يوقع في اشكال غير مقبول ، فوضح علماء العقيدة ان اللام في اللغة العربية لها اكثر من معنى وهي لاتقتصر على مفهوم التعليل ويقول المتكلمون ان اللام في الاية هي للعاقبة والصيرورة بمعنى انها تبين ما صار اليه الحال والامر من معنى العبادة والخضوع والانقياد له سبحانه وتعالى(٤) .

ونختتم هذه الامثلة التي من خلالها يتضح معنى هذا المبحث بمثال يختص بشرح معنى الجسم عند المتكلمين حيث اثبت علماء المدرسة الاشعرية ان الاجسام مؤلفة من الجواهر، وان اقل ما يتركب عليه الجسم من جزأين فصاعداً وهذا خلاف ما ذهب اليه اكثر المعتزلة من ان الجسم هو الطويل العريض العميق(٥) .

فيوضح المحققون من الاشاعرة هذا المعنى بقولهم : بانه يقال لاحد الجسمين اذا زيد عليه جزءٌ واحد انه اجسم من الاخر ، فلولا ان مجرد التركيب كافٍ في الجسم لما صار بمجرد زيادة الجزء ازيد في الجسمية ... ويقال جسم الشيء أي عظم فهو جسيم وجسام بالضم ، والمعاني اللغوية تكون مرعية في الالفاظ المنقولة(٦) .

فهذه امثلة تؤكد استعمال علماء الكلام للغة ، حيث وظفوها لشرح وتوضيح المعاني الكلامية ، حيث استخدم جميع علماء اللغة في توصيل المفاهيم العقائدية ، واللغة العربية هي لغة القرآن الكريم الذي شرح الدين من خلال هذه اللغة ، فأهل الكلام وعلماء الامة على الاطلاق كانوا على قدر كبير من المعرفة اللغوية بكل معانيها ، لأن اللغة العربية هي اساس في فهم القرآن الكريم والاحاديث النبوية الشريفة ، والذي ليس له الدراية اللغوية لايوثق بعلمه ولا يستطيع ان يشرح عقيدته بشكل جيد ، فاللغة هي الطريق التي من خلالها يوضح العلماء ارائهم وافكارهم .

ولا يستغرب ان الكثير من علماء العقيدة قد صنفوا في اللغة وعلومها من امثال العلامة الباقلاني والغزالي وعضد الدين الايجي والامام الرازي والسعد التفتازاني والسيد الشريف الجرجاني وغيرهم ، فالمطلع على تصانيفهم وكتبهم يجد هذا واضحاً بشكل كبير ، وهذا ما نراه اذا تصفحنا كتاب كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون ، فقد الف علماء الكلام قديماً وحديثاً في علوم

---

(٣) سورة الذاريات : الاية ٥٦ .

(٤) حاشية الباجوري على السنوسية ، ص٢٧ .

(٥) المواقف : الايجي ، ص١١٢ . والباقلاني واراءه الكلامية : د.محمد رمضان ، ص٣٣٥ .

(٦) شرح النسفية : التفتازاني ، ص٤٩ . وحاشية عصام الدين شرح النسفية ، ص١١٥ .

اللغة العربية وفنونها ، مما يعطينا الدليل على سعة علم هؤلاء المفكرين وقدرتهم على استخدام اللغة وعلومها في ايضاح افكارهم وارائهم العقائدية(١) .

المبحث الثاني : نصرة عقيدة اهل السنة والجماعة

ان نصرة العقيدة الحقة لابد لها من ادوات تستخدم كمعين لنصرة هذا الحق ، واهل السنة وظفوا علوم شتى لنصرة الاراء الكلامية التي استقوها من القرآن والسنة الشريفة ، مثل علم التفسير وعلم التاريخ وعلم المنطق والفلسفة وعلم اداب البحث والمناظرة ، وكذلك علم اللغة العربية التي نزل بها التشريع الالهي .

وعلم العربية الذي هو محل بحثنا في هذا المبحث دخل في مجالات كثيرة وذلك لسعة اللغة وعلومها ، ففي المبحث السابق تكلمنا عن استخدام اللغة كوسيلة لتوضيح الاراء والافكار الكلامية ، وفي هذا المبحث نؤكد على ان علماء العقيدة وظفوا المعاني اللغوية لنصرة مذهب المدرسة الاشعرية التي هي المعبرة عن مذهب اهل السنة والجماعة ، والامثلة كثيرة منثورة في الآف المصنفات العقائدية التي الفت على مدار الرسالة الاسلامية الى يومنا هذا .

فمثلاً في مسألة الرؤية التي هي احدى مسائل النزاع ذات الصفة الهامة بين اهل السنة والمعتزلة ، وهذه المسألة ترجع الى الاختلاف في تصور ذات الله تعالى ، وتصور ما يجب ان يكون من نسبة بين الشخص الرائي والموضوع المرئي(٢) .

يستدل المتكلمون بادلة على ثبوت الرؤية منها قوله تعالى حكاية عن سيدنا موسى عليه السلام ((قال رب ارني انظر اليك قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه الى الجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما افاق قال سبحانك تبت اليك وانا اول المؤمنين))(٣) .

وهذه الاية الكريمة استدل من خلالها اهل السنة والجماعة على ثبوت الرؤية لله تعالى في الاخرة لمن يشاء من عباده وذلك بقولهم : ان الله تعالى نفى الرؤية التي طلبها سيدنا موسى عليه السلام ، ولم يقل له كيف تطلب مني ما لايجوز في حقي ، علماً ان سيدنا موسى عليه السلام نبيٌ من اولي العزم يدرك حق الادراك ما يجوز في حقه تعالى وما لايجوز ، فلو كان يعلم ان الرؤية

---

(١) كشف الظنون : حاجي خليفة ، ج١ص٦٧-٤٧٤-٨٩٨- . ج٢ ص١١٣٨-١٧٦٢-١٩٥٤ وغيرها .

(٢) القرآن والفلسفة : د.محمد يوسف ، ص٨٩ .

(٣) سورة الاعراف : الاية ١٤٣ .

مستحيلة لما استساغ لنفسه ان يطلبها ، واهل اللغة العربية يعلمون ان المتكلم لا ينفي شيئاً الا حيث يجوز ثبوته(٤) .

ويلاحظ من الكلام السابق كيفية توظيف معنى النفي في العربية في تثبيت دليل اهل السنة على جواز الرؤية في الاخرة.

واما المعتزلة فكان عمدتهم في الاستدلال بالاية على ان نفي الرؤية بـ(لن) والتي تفيد بدلالتها على تأبيد النفي ، بمعنى ان الرؤية لاتجوز لا في الحال ولا في المستقبل ، هذا الكلام منقول عن العلامة الزمخشري(١) .

ويرد اهل السنة على الكلام المعتزلة ودلالة (لن) التي نقلت عن العلامة الزمخشري ، بان هذا الكلام مخالف لكلام العرب ، ولم يسبق الزمخشري الية احد من علماء اللغة ، ولن عند العرب تفيد النفي من غير التابيد وهو ما اتفق عليه اهل اللغة(٢) .

ويلاحظ من هذا المثال ان اللغة العربية وظفت لنصرة مذهب المتكلم سواء كان من المدرسة الاشعرية ام غيرها من المدارس الكلامية.

وفي مسألة الاضلال والهداية ، وهل لله تعالى ان يضل من يشاء ويهدي من يشاء ، لانه لايسأل عما يفعل ؟ او ان ذالك لايمكن ان يكون والا كان مما لايتفق مع عدالتة التامة ؟ وهذة المسالة مختلف فيها بين اهل السنة والمعتزلة ترجع الى موضوع العمل بين الله والانسان(٣).

ينصر المتكلمين الممثلين للمدرسة الاشعرية معنى الهدية التي هي بمعنى خلق الهداية والاضلال لانة تعالى هو الخلق وحده ، بادلة منها ماذكره العلامة التفتازاني في اثباتة لكلام اهل السنة حيث قال : وقد تضاف الهداية الى النبي ﷺ مجازاً بطريق التسبب كما سند الى القران ، وقد تسند الضلالة الى الشيطان مجازا ، كما سندت الى الاصنام ... ان الهداية عندنا خلق الاهتداء ، ومثل هداه الله فلم يهتد مجاز عن الدلالة والدعوة الى الاهتداء(٤) .

فمن خلال كلام التفتازاي نرى انه استخدم مفهوم المجاز عند البلاغين في نصرة مذهب الاشاعر .. ان الهداية والاضلال قد تسند الى غير الله تعالى ولكن هذا عن طريق المجاز .

---

(٤) الجويني : الارشاد ، ص١٤٣ ، والشهرستاني نهاية الاقدام ص٣٦٧ . والنظام المؤيد ، محمد محي الدين ص١٦٧ .

(١) الجرجاني . شرح المواقف ، ج٨ص١١٧ .

(٢) تحفة المريد . الباجوري ، ج٢ص١٧ .

(٣) القران والفلسفة . محمد يوسف ، ص١٣٨ .

(٤) شرح النسفية . التفتازاني ، ص١٢٩ .

ولا نذهب بعيدا عن مبحث خلق الافعال وان الله هو الخلق وكل شيء وليس الإنسان من فعلة الا الكتساب ، يستدل القاضي الباقلاني بكلام العرب ولفتهم على ان الله خلق الأفعال الإنسان خلافا للمعتزلة القائلين بان الإنسان خالق لافعالة الاختيارية بقدرة خلقه الله فيه ، فيقول :- إن لفظة افعل في كلام العرب يرد بها إثبات الحكم لأحد المذكورين وسيلة من الأخير من كل وجه ، وذلك كما في قوله تعالى – أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً وأحسن مقبلا – فاثبت حسن المقبل لأهل الجنة مع حسن المستقر ، وسلب ذلك عن أهل النار أحلا ودراسا .

لان أهل النار ليس لهم حسن مستقر ولاحسن مقبل ، وذالك في قوله تعالى – فتبارك الله أحسن الخالقين – اثبت الخلق لة وانه هو المنفرد به دون غيره ، كما يقول القائل : العسل أحلى من الخل لايريد أن للخل حلاوة بوجه ، بل يريد إثبات الحلاوة للعسل وسلبها عن الخل أهلا ورأسا(٥). ونختم هذا المبحث بمفهوم الإيمان عند أهل السنة والجماعة ، الذي هو التصديق القلبي فقط .

وإما النطق والعمل فما هما إلا مجرد شرط لإجراء الأحكام الدنيوية على العبد وهذا الكلام مخالف لما ذهب إلية المعتزلة والخوارج من القول بان الأيمان هو مجموع الإقرار باللسان والتصديق بالجنان والعمل بالأركان(٦) .

واستدل المتكلمون الاشاعر على إن الأيمان هو التصديق القلبي فقط بما جاء في اللغة العربية من إن معنى الأيمان في اللغة هو التصديق فيستعمل شرعا في تصديق خاص٠ حيث قال السيد الشريف الجرجاني في معرض الرد على من ذهب إلى القول بنقل معنى الأيمان عن مجرد التصديق ،بقوله : وذلك لان الشرع إنما يخاطب العرب بلغتهم ليفهموا ماهو المقصود بالخطاب فلو كان لفظ الأيمان في الشرع مغايرا عن وضع اللغة لتبين للاحة نقله وتفسيره بالتوقيف ،كما تبين نقل الصلاة والزكاة وامثالهما٠ولاشتهر اشتهار نظائره بل كان هو بذلك أولى(١) .

وكذلك استدل الاشاعرة على عدم دخول العمل في مفهوم الأيمان الذي هو التصديق عندهم بقوله تعالى: ((إن الذين امنوا وعملوا الصالحات))(٢) .

فقال العلماء : إن عطف الأعمال على الأيمان يقتضي المغايرة لان العطف عند النحويين يقتضي المغايرة وعدم دخول المعطوف في المعطوف فية وهذا هو مفهوم العطف على

---

(٥) الانصاف . الباقلاني ، ص١٥٠ .

(٦) تحفة المريد . الباجوري ، ج١ص٤١ .

(١) شرح المواقف . الجرجاني ، ج٨ص٢٥٣-٢٥٤ . والمعجم الوسيط . لمجموعة من المؤلفين ، ج١ص٢٧ .

(٢) سورة الكهف : الاية ١٠٧ .

ظاهره فيجب العمل به كسائر الظواهر ،فلا يرد على هذا الكلام بأنه لما لا يجوز أن يكون عطف اهتماما بشأنه(٣) .

فمن خلال هذه الأمثلة وغيرها المنشور في كتب أهل الكلام ، نجد إن المتكلمين استعانوا بالمعاني اللغوية لتثبيت أرائهم وأفكارهم الكلامية وهذا غير محصور بالمدرسة الاشعرية الممثلة لأهل السنة والجماعة بل كل مدرسة فكرية استخدمت علوم اللغة العربية لتقوية ما ذهبت إلية من أراء وأفكار ، مما يعطينا الدليل القوي على اثر اللغة العربية وأهميتها عند المتكلمين بكل تياراتهم وأفكارهم ، لان من ظلالها انطلقوا في تفسير معاني القران الكريم والأحاديث النبوية الشريفة ، موظفين اللغة في تقوية وتثبيت ما ذهبوا الية من أفكار ومفاهيم كلامية .

المبحث الثالث : رفع الشبه والإشكالات

إن اللغة العربية و علومها كانت الأساس في دفع الكثير من الشبة والإشكالات التي دارت في فهم الكثير من النصوص القرآنية أو الأحاديث النبوية الشريفة ، حيث وظف علماء العقيدة اللغة في رفع الشبة وما تجرا إلية من معاني التشبيه أو التجسيم ، التي لا ينبغي لعاقل أو مؤمن إن يعتقد بها ، فنحن نجد في القران الكريم ما يدل إن اخذ حرفيا على ظاهره ، على إن الله تعالى عن ذلك جسم له وجه ويدان وساقان وقدم ، دون بيان كيفية شيء من ذلك ، ونجد مثل هذا في الحديث الشريف أيضا ٠ وكان من ذلك إن وجد في المسلمين من ذهب إلى التشبيه في ذات الله تعالى ٠

وفكره التشبيه معناها الذهاب إلى إن بين الله تعالى والإنسان وجوه شبة في ألذات ، أو في الصفات ، أو في كليهما معا(١)٠

ولهذا السبب انبرعلماء الكلام للدفاع عن العقيدة الإسلامية ، ورفع كل الشبه ومعاني التشبيه من أفكار الناس ، وكان العماد في ذلك كله اللغة العربية ومعانيها التي شرحت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، ولكي نوضح هذا المبحث لابد من ذكر الأمثلة حتى نكون على بصيرة في فهم اثر اللغة في رفع كل المفاهيم الدخيلة على الدين الاسلامي٠

أ . في إضافة **(اليد)** إلى الله تعالى تجد قوله **((وقالت اليهود يد الله مغلولة..... بل يداه مبسوطتان))**(٢). وقوله تعالى خطاباً لإبليس حين أبى السجود لآدم **((ما منعك أن تسجد لما**

---

(٣) شرح النسفية . التفتازاني ، ص١٥٦ . وحاشية الكستلي على شرح النسفية ، ص١٥٦ .

(١) القران والفلسفة ٠ محمد يوسف ٠ ص٦٨

(٢) سورة المائدة: آية٦٤.

خلقت بيدي))(٣). وقوله((**إن الذين يبايعونك إنما يبيعون الله يد الله فوق أيديهم**))(٤)فما يتصل بهذه الآيات التي جاء فيها ذكر اليد على سبيل الإفراد أو التثنية مضافة لله تعالى، نرى المتكلمين يجعلونها تارة كناية عن وصف الله بالكرم كما في آية المائدة، بل يداه مبسوطتان، وتارة كناية عن النعمة والنصرة كما في آية الفتح ،يد الله فوق أيديهم، أي نعمة الله على الذين بايعوا الرسول أكبر من نعمتهم هم على الرسول بمبايعته، أو نصرة الله إياهم أقوى وأعلى من نصرتهم إياه، وتارة يراد بها القوة والقدرة في الآية التي فيها ذكر أن الله خلق آدم بيديه(٥).

ب. مثلا في الوجه نجد قوله تعالى((**كلّ شيء هالك إلاّ وجهه**))(٦) وقوله ((**ويبقى وجه ربك**))(٧) وقوله((**إنما نطعمكم لوجه الله**))(٨) ٠ فقد أوّل المتكلمون الآيات التي جاء فيها ذكر الوجه كلها بالذات نفسها.

مستندين إلى اللغة العربية، من أن ألذات هو بعض ما يراد لغة بالوجه، وإلى هذا ذهب الزمخشري حيث قال: والوجه يعبر به عن الجملة و ألذات، ومساكين مكة يقولون أين وجه عربي كريم ينقذني من الهوان(١).

ج. وكذلك في معنى الاستواء في قوله تعالى((**الرحمن على العرش استوى**))(٢) نجد أقوال المتكلمين في تفسير معنى الاستواء في هذه الآية مستندين لمعانيها في اللغة العربية، فمن فسر الاستواء بمعنى الاستيلاء مستشهدين بقول الشاعر:

قد استوى بشرٌ على العراقِ　　　من غيرِ سيفٍ ولأدم مهراق(٣).

أو يراد بالاستواء القصد كقوله تعالى ((**ثمّ استوى إلى السماءِ وهي دخان فقال لها وللأرضِ إئتيا طوعاً أو كرهاَ قالتا أتينا طائِعين**))(٤) وقد توقف بعض المتكلمين في تفسير معنى الاستواء٠

---

(٣) سورة ص: آية ٧٥.

(٤) سورة الفتح: آية ١٠.

(٥) تفسير الرازي: ٨/ ص١٧ و ٥/٦٤٤.

(٦) سورة العنكبوت: آية ٨٨.

(٧) سورة الرحمن: آية ٢٢.

(٨) سورة الإنسان: آية ٢٩.

(١) تفسير الكشاف: الزمخشري ج٤ /ص٥١.

(٢) سورة طه: آية ٥.

(٣) المواقف: الايجي ، ص٢٩٧.

(٤) سورة فصلت: آية١١.

د. قد ورد بالحديث قوله صلى الله علية وسلم :- إن قلوب بني ادم كقلب واحد بين إصبعين من أصابع الرحمن(٥)۰ وقد أول العلماء صفى الأصابع بقولهم : بين صفتين من صفاتة ، وهاتان القدرة والإرادة(٦)۰

هـ. وفي الساق والقدم نجد مثلا قولة تعالى((يوم يكشف عن ساق))(٧)۰ وقوله صلى الله علية وسلم: يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن وكل مؤمنة ، ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعة فيذهب يسجد فيعود ظهره طبقا واحدا(٨) ۰

وقد أول العلماء صفى الساق باستخدام اللغة حيث قالوا: الساق كناية عن اشتداد الأمر وتفاقم الحال ، كما يقال :كشفت الحرب عن ساقها على المجاز كناية عن الشدة(٩)۰

المبحث الرابع : بيان اسباب الاختلاف

كثيراً ما يحدث الخلاف ويتعدد بسبب الافكار واختلاف وجهات النظر في المسائل العلمية بشكل عام والعقائدية بشكل خاص ، وبمجرد تحديد دائرة الخلاف يتضح المعنى ، ويتضح المنشأ الذي انبنى عليه الخلاف ، ولهذا نجد علماء الفكر الاسلامي من اهل الكلام يؤكدون على بيان الموطن والاصل الذي كان سبباً للخلاف ، ومن تلك المواطن التي يرجع اليها الخلاف مفهوم اللغة ومعانيها ، مما يظهر اثر اللغة في الفكر الاسلامي ، فمن الامثلة التي تؤكد هذا المبحث (صفة التكوين) التي قال بها بعض العلماء واقصد بهم علماء ما وراء النهر اتباع الشيخ ابي منصور الماتوريدي (٣٣٣هـ ٩٤٤م) حيث قالوا بان التكوين الذي هو مفهوم صفات الافعال ، من التخليق والترزيق والاحياء والاماتة الى غير ذلك ، من الصفات الثبوتية لله تعالى (اي صفات المعاني) وليست هي تابعة لصفة القدرة والارادة ، كما قال بذلك جمهور المتكلمين الممثلين للمدرسة الاشعرية(١) .

فيوضح علماء العقيدة ان السبب في هذا الخلاف يرجع الى ان من قال بهذه الصفة رأى ان الله تعالى وصف ذاته العلية في كلامه الازلي لانه الخالق فلو لم يكن خالقاً لزم الكذب في كلامه تعالى او القول بانه خالق فيما يستقبل من الزمان على اعتبار ان كلامه تعالى فيه معنى المجاز أي الخالق فيما يستقبل ، وهذا ما قال به علماء المدرسة الاشعرية ، بان صفة التكوين

---

(٥) ينظر مسند الامام احمد ، ج ٦ / ص١٦٨ في الحديث ٦٥٦٩، والسنن الكبرى ،النسائي ،ج٤/ص٤١٤ .

(٦) تحفة المريد ، الباجوري ،ج١ / ص٨٣ .

(٧) سورة القلم ، اية ٤٢ .

(٨) صحيح البخاري . كتاب التوحيد ، ج٣ / ص١٧٢- ١٧٣

(٩) الكشاف . الزمخشري ،ج٤ / ص١٣١ .

(١) المواقف : الايجي ، ص٢٩٩ .

ليست الا القدرة مع الارادة وما ورد من انه تعالى خالق فهو عن طريق المجاز ، فلماذا العدول الى المجاز مع غير تعذر ابقاء المعنى على حقيقته كما هو رأي الماتوريدية(٢) .

فيظهر من هذا الخلاف ان مرجعه الى الفهم اللغوي فمن قال بهذه الصفة اخذ الكلام على الحقيقة ، ومن قال بان هذه الصفة ليست الا القدرة زائدة الارادة اخذ الكلام على معنى المجاز ، فنرى من خلال هذا المثال اثر المعنى اللغوي في الخلافات الكلامية(٣) .

ونأتي بمثال اخر يقوي ما سبق ان ذكرناه في اثر اللغة عند المتكلمين ، وهو يتعلق بمبحث اول واجب على المكلف ، فنجد ان للعلماء في هذا الموضوع خلاف طويل ، حيث ذهب الامام الاشعري الى ان اول واجب على المكلف هو معرفة الله تعالى .

ويقول الاستاذ الاسفراييني الى ان اول واجب هو النظر الموصل الى معرفة الله تعالى(٤) . وذهب القاضي الباقلاني الى ان اول شيء على المكلف هو المقدمة الاولى من الدليل الموصل لمعرفة الله تعالى . ويقول العلامة الجويني ان اول شيء يجب على المكلف هو القصد الى النظر(٥) .

وبعد سرد هذه الأقوال من علماء الكلام ، يذكر الإمام الرازي إن الخلاف في هذه المسألة يرجع إلى الفهم اللفظي وذلك لان من قال إن أول الواجبات هو المعرفة ، إنما عني إن أول الواجبات من المقاصد الاعتقادية والمعرفة ، ومن قال إن أول الواجبات هو النظر ، أو المقدمة الأولى منه ، أو القصد إلى النظر ، إنما عني أو قصد إنما ذكر أول الواجبات من حيث انه يتوقف عليه الواجب من المقاصد الاعتقادية(٦) .

وفي مبحث الأسماء والصفات ، نرى اختلاف العلماء في جواز إطلاق الشيئية على ألذات الإلهية ، حيث من ذهب إلى الجواز استخدم علم العربية في تأييد رأيه ، واستدل بقوله تعالى : ((قل أي شيء اكبر شهادة قل الله))(١) وقوله تعالى : ((كل شيء هالك إلا وجهه))(٢) بناءاً على الأصل في العربية إن الاستثناء متصل ، فهو تعالى شيء لكن لا كالأشياء ، ومن منع هذا الإطلاق استند على إن أسماءه تعالى توقيفية لايجوز إطلاق اسم من دون ورود الشرع به .

---

(٢) شرح النسفية : التفتازاني ، ص٩٧ .

(٣) المسامرة : ابن ابي الشريف ، ٨٥-٨٨ .

(٤) الارشاد : الجويني ، ص٣ .

(٥) النظام الفريد : محمد محي الدين عبد الحميد ، ص٤١ .

(٦) المحصل : الرازي ، ص٦٥ .

(١) سورة الانعام : الاية ١٩ .

(٢) سورة القصص : الاية ٨٨ .

وفي مبحث الصفات الجزئية ، نجد خلافاً بين علماء السلف أو بتعبير أخر مدرسة التفويض ، ومدرسة الخلف أو مدرسة التأويل ، فالآيات والأحاديث التي فيها السيد والعبد والاستواء منسوبة إلى الله تعالى ، واختلف العلماء في تفسيرها ، وهذا الاختلاف يستند إلى معنى اللغة التي توضح سبب الاختلاف في قوله تعالى(هو الذي انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا اولوا الاباب)(٣) .

حيث ذكر العلماء إن سبب الاختلاف بين التيارين أو المدرستين يعود إلى اختلافهم في التوقف على قوله تعالى ((والراسخون في العلم)) هل هو معطوف على لفظ الجلالة ، وعليه يكون نظم الآية ((وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم)) وجملة ((يقولون أمنا به)) حينئذ مستأنفة في بيان التماس التأويل ، وهذا سند مدرسة التأويل اويكون الوقوف على قوله تعالى ((وما يعلم تأويله إلا الله)) وعليه يكون قوله تعالى ((والراسخون في العلم)) استئناف وليس معطوفاً على لفظ الجلالة ، وذكر مقابله في قوله تعالى ((فأما الذين في قلوبهم زيغ)) وهذا تفسير مدرسة السلف أو تيار التفويض في الفكر الإسلامي(٤) .

ونضيف مثالاً اخيراً يظهر اثر اللغة في بيان أسباب الاختلاف عند علماء الكلام ، ففي مبحث تصور عوارض الماهية من الوجوب والامكان والامتناع والقدم والحدوث ، يبين العلماء انه قد حصل خلاف في مفهوم الوجوب ، هل هو أمر وجودي ؟ أم هو أمر اعتباري؟ لا وجود له في الخارج ، ذهب العلماء ومنهم الإيجي إلى إن هذا النزاع بين القائلين بوجودية الوجوب وعدميته لفظي ، راجع الى الاختلاف في مفهومات خواص الواجب(٥) .

فمن خلال هذه الأمثلة وغيرها أتضح إن مرجع الكثير من الخلافات في المسائل الكلامية إلى معاني لغوية لا حقيقية ، وان كل فكر استخدم اللغة في ترجيح كلامه ، وعند تحرير محل الاختلاف نجد ان مرجع هذا الخلاف إلى مفاهيم لغوية ومعاني ترجع إلى فهم كل فريق ما استقاه من فهمه .

---

(٣) سورة آل عمران: الاية ٧ .

(٤) تحفة المريد : الباجوري ، ج١ ص٨٢ .

(٥) شرح المواقف : الجرجاني ، ج٣ص١٠٦ وشرح المقاصد : التفتازاني ، ج١ص٤٥٨ .

الخاتمة :

وبعد هذه الجولة في هذا البحث المتواضع يمكن ان نسجل اهم ماتوصلنا اليه من نتائج على النحو التالي :

١. أن اللغة العربية هي الدعامة الأساسية في نشر الفكر الإسلامي وعقيدته ، وذلك باستخدامها لتوضيح الأفكار والمعاني الكلامية ،وتقريب المفاهيم العقدية لدى المسلم .
٢. وظفت اللغة في نصرة مذهب أهل السنة والجماعة وما ذهبوا إليه من أفكار وآراء وليس هذا لأهل السنة فقط، فكل متكلم سواء كان سنيا او ينتمي لأي فكر إسلامي آخر ، جعل من اللغة وسيلة لنصرة فكره وماتبناه من آراء .
٣. اللغة العربية لها المكانة المهمة في حل الإشكالات والشبه التي وقعت من قبل بعض الإسلاميين في فهم جانب من النصوص الشرعية .
٤. كان من آثار اللغة ما وجدناه من خلافات كلامية مرجعها الأساس المعاني اللغوية ،حيث ان كلا يرى فكره وما ذهب إليه من خلال فهمه للغة العربية .

المصادر

١. الإرشاد إلى قواطع الأدلة .عبد الملك بن عبد الله الجويني إمام الحرمين (ت٤٧٨ هـ ١٠٨٥م) تحقيق د. محمد يوسف موسى و د.علي عبد المنعم عبد الحميد (مكتبة الخانجي، مطبعة السعادة مصر سنة ١٣٦٩هـ ١٩٥٠م).
٢. الإنصاف فيما يجب اتقاده ولا يجوز الجهل به .أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني (ت٤٠٣هـ ١٠١٢م) .تحقيق الشيخ محمد زاهد الكوثري (ط٢ ،طبع بمؤسسة الخانجي ، ١٩٦٣م) .
٣. الباقلاني و آراؤه الكلامية . د.محمد رمضان عبد الله (مطبعة الأمة ،بغداد سنة ١٩٨٦م).
٤. تحفة المريد حاشية على جوهره التوحيد .إبراهيم بن محمد الباجوري (ت١٢٧٧هـ ١٧٦٣م). (طبعة القاهرة .مصر .بدون تاريخ) .
٥. التعريفات علي بن محمد الجرجاني (ت٨١٦هـ ١٤١٣م)(دار الشؤون الثقافية ،بغداد ، العراق).
٦. تفسير الرازي.
٧. حاشية الباجوري على متن السنوسية .للشيخ إبراهيم بن محمد الباجوري.(شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، القاهرة ، مصر سنة ١٩٥٥م).
٨. حاشية عصام الدين على شرح النسفية . عصام الدين إبراهيم بن محمد بن عرب شاه (ت٩٤٥هـ ١٥٣٨م).(مطبعة كردستان العلمية ،مصر سنة ١٣٢٩هـ).

٩. حاشية الكستلي على شرح النسفية . مصلح الدين مصطفى (ت٩٠١هـ ١٤٩٥م). (طبعة عثمانية مع شرح النسفية سنة ١٣٢٦هـ).

١٠. شرح النسفية . سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني ت٧٩٢هـ ١٣٨٩م) . (ط١ ، الشركة العثمانية للطباعة ، سنة ١٣٢٦هـ) .

١١. شرح المواقف . علي بن محمد الجرجاني .(ط١ مصر سنة ١٣٢٥هـ).

١٢. شرح المقاصد .سعد الدين التفتازاني .تحقيق عبد الرحمن ـ (ط١ ، بيروت سنة ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م).

١٣. صحيح البخاري (مطبعة الحلبي ، القاهرة ، ١٣٢٠هـ).

١٤. القران والفلسفة. د.محمد يوسف موسى (ط٤ ، دار المعارف ،القاهرة ،١٩٨٢).

١٥. الكشاف. الامام الزمخشري (مطبعة القاهرة ،سنة ١٣٥٤هـ).

١٦. كشف الظنون . حاجي خليفة مصطفى بن عبد الله (ت١٠٦٧هـ ١٦٥٦م). (ط١ ، بيروت ، لبنان ، بدون تاريخ).

١٧. محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين . محمد بن عمر الرازي (ت٦٠٥هـ ١٢٠٨م). (ط١، دار الكتاب العربي سنة ١٤٠٢هـ ١٩٨٤م).

١٨. مسند الإمام احمد ، أبو عبد الله احمد بن حنبل الشيباني .(مؤسسة قرطبة مصر بدون تاريخ)٠

١٩. المسامرة شرح المسايرة ، كمال الدين بن محمد ابن أبي الشريف (ت٩٠٥هـ ١٤٩٩م، مطبعة السعادة ، مصر سنة ١٣٤٧هـ).

٢٠. المعجم الوسيط ، إبراهيم مصطفى واحمد حسن الزيات وحامد عبد القادر ومحمد علي النجار ، بأشراف عبد السلام هارون .(دار إحياء التراث العربي ،بيروت ، لبنان ، بدون تاريخ).

٢١. المواقف في علم الكلام ،عبد الرحمن عضد الدين الإيجي(ت٧٥٦هـ ١٣٥٥م).(علم الكتب ، بيروت ،لبنان ،بدون تاريخ).

٢٢. النظام الفريد بتحقيق جوهرة التوحيد ،محمد محي الدين عبد الحميد (ط٢،مطبعة السعادة ، بمصر سنة ١٣٧٥هـ ١٩٥٥م).

٢٣. نهاية الإقدام ، محمد بن محمد الشهرستاني (ت٥٤٨هـ ١١٥٥م) .(نشره وحققه المستشرق الفريد كيو ، لندن سنة ١٩٦٤م) .